المفاجأة العربية في الحرب الرابعة

المقدم الهيثم الايوبي

« لقد فاجأونا ! لقد أمسكوا بنا ونحن في سراويلنا الداخلية ! لقد أمسكونا ونحن في قمة سعادتنا وثقتنا ، عندما كنا نثق بقوتنا اكثر مما ينبغي ، وعندما كنا نعتقد اننا نستطيع ضرب اي عدو في ستة أيام ».

(رغل بنكار — عل همشمار ٧٣/١٠/٩)

مقدمة

المفاجأة مبدأ اساسي من مبادىء الحرب ، ومحور ترتكز عليه الخطة العسكرية بجميع مستوياتها الاستراتيجية والعملياتية والتكتيكية . وليس في التاريخ العسكري قائد ناجح لم يحاول استغلال المفاجأة لقلب التوازن النفسي داخل معسكر الخصم ، لان قلب هذا التوازن يحدد بداية النصر . وتتحقق المفاجأة عادة بعدة اشكال ، فقد تكون مفاجأة في مكان الضربة الرئيسية (محور الجهد الرئيسي) ، او في زمان هذه الضربة (لحظة بدء العمل) ، او باستخدام سلاح جديد ، او باستخدام سلاح قديم بأسلوب جديد لا يتوقعه الخصم . واذا كان الالمان قد فاجأوا الاتحاد السوفياتي بتاريخ بدء عملية باربروسا في حزيران ١٩٤١ وفاجأوا الفرنسيين في ايار ١٩٤٠ بمكان الضربة الرئيسية في منطقة الاردين التي قدر الفرنسيون عدم صلاحيتها لهجوم مدرع كبير . فقد فاجأ اليابانيون الاسطول الاميركي في بيرل هاربور (كانون الاول ١٩٤٣) مفاجأة جمعت عاملي الزمان والمكان . واذا كان الحلفاء قد فاجأوا الالمان في الحرب العالمية الاولى باستخدام الدبابات لخرق الخطوط الدفاعية في معركة السوم (١٩١٦) ومعركة كامبري (١٩١٧) ، فقد رد الالمان المفاجأة في الحرب العالمية الثانية عندما استخدموا سلاحا معروفا (الدبابة) بأسلوب جديد هو أسلوب الكتل المدرعة الضخمة (فرق وفيالق) العاملة بتعاون وثيق مع القاذفات المنقضة من طراز شتوكا .

وتعتمد المفاجأة اكثر ما تعتمد على الخدعة ، والسرية ، وسرعة الحركة ، ودقة المعلومات ، ودراسة عقيدة الخصم العسكرية ، والقدرة على فهم عقلية واسلوب محاكمته وطبيعة ردود فعله . ويكمن جوهر كل مفاجأة في القيام بعمل حاسم غير متوقع، بعد دفع العدو الى اتخاذ تدابير يظنها جيدة وملائمة ، ثم يكتشف خلال القتال انها ليست غير ملائمة فحسب ، بل تعرقل القيام بالاعمال المضادة الملائمة ايضا .

وللمفاجأة في الصراع العربي — الاسرائيلي تاريخ حافل يستحق الدراسة . بكثير من العناية ، لانه يجسد في الحقيقة **تباين مفهومين ، وحضارتين ، واسلوبين في التفكير ،** ولقد استخدم الاسرائيليون المفاجأة على نطاق واسع في الحروب الثلاث الاولى (٤٨ — ٥٦ — ٦٧) وفي العمليات المحدودة الانتقامية التي جرت في الفترات الواقعة بين هذه الحروب ، على حين لم يلجأ العرب على المستوى الاستراتيجي الى هذا العامل الفعال اللازم لتحقيق النصر . ففي حرب ١٩٤٨ التي كانت العمليات العربية في بدايتها هجومية،